



حجاجية الجناس في خطب الجهاد عند الإمام علي (عليه السلام)

حسين مجيد سلمان

أ.م.د. تغريد عبد الأمير الخفاجي

جامعة كربلاء - كلية العلوم الاسلامية

The Argumentative Function of Paronomasia in Imam Ali's (PBUH) Jihad Sermons

Hussein Majeed Salman

Asst. Prof. Dr. Taghreed Abdul-Amir Al-Khafaji

University of Karbala - College of Islamic Sciences



<https://doi.org/10.64704/dawat.2026124809>



ملخص البحث

يعد الجناس من الأساليب البلاغية المهمة التي تسير بالخطاب نحو الإقناع والتأثير فهو عندما يرد في الخطاب يحدث إيقاعاً رناناً تطرب له الآذان وتنجذب له النفوس بفضل التجانس الموسيقي والإيقاعي الذي يحدثه الجناس إذ يأتي منقاداً للمعنى الذي سيق من أجله وبذلك يكون قد بلغ غايته في التأثير والإقناع. أما طبيعة عمل الجناس في تقوية حجاجية الخطاب فهي تعود إلى الدهشة والمفاجأة غير المتوقعة التي تحدث في النفس عند إدراكها للمعنى الجديد، ووقوفها على حقيقة الاختلاف الدلالي الخفي بين اللفظتين المتجانستين انطلاقاً من تشابههما الصوتي الظاهر.

ولذلك جاء هذا البحث ليحلل ويدرس نماذج من الجناس أسهمت في جعل الخطاب حجاجياً في نص مبارك من نصوص أهل البيت (عليهم السلام) ألا وهي خطب الجهاد عند الإمام علي (عليه السلام) متتبعاً نماذج الجناس الحجاجي فيها بالتقصي والتحليل لكونها من الخطب المدعمة بالأساليب الحجاجية التي تقود الخطاب نحو التأثير والإقناع.



Abstract

Paronomasia is considered one of the important rhetorical devices that guides discourse towards persuasion and influence. When it appears in a speech, it creates a resonant rhythm that pleases the ear and captivates the soul, and generating a musical and rhythmic harmony. Paronomasia comes in accordance with the intended meaning, thus achieving its goal of influence and persuasion.

The nature of paronomasia's role in strengthening the argumentative power of the speech stems from the surprise and unexpected impact it creates upon understanding the new meaning and grasping the subtle semantic difference between the two similar words, based on their apparent phonetic similarity.

This research aims to analyze and study examples of paronomasia that contribute to making the discourse persuasive in a blessed text from the Ahlul-Bayt (peace be upon them), namely, the sermons on jihad by Imam Ali (peace be upon him). It meticulously examines and analyzes these examples of persuasive paronomasia, given that these sermons are supported by argumentative techniques that guide the discourse toward influence and persuasion



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق والمرسلين أبي القاسم محمد وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين.

وبعد..

يعد الحجاج عنصرًا مهمًا من عناصر النظرية التداولية، لما له من أهمية فعالة في صياغة الخطاب بأسلوب إقناعي قادر على التأثير في المقابل بغية إقناعه بفحوى الخطاب، فقد كانت غاية النظرية الحجاجية تدور حول المتلقي لأجل تحقيق التأثير والإقناع فيه واستمالته لما يعرض عليه عبر أساليب وآليات حجاجية إقناعية.

و قد برزت أهمية الحجاج في الدراسات العربية القديمة والحديثة، فقد شرع أغلب الباحثين لدراسته وتطبيقه على النصوص والخطابات، وقد شاع استعماله منذ البدء في الدفاع عن المذهب والعقيدة وفي الانتصار للأراء واختلاف وجهات النظر وأيضاً شاع استعماله بين القادة والخطباء لجذب الناس والتأثير

فيهم، لذا فقد ابتعد الحجاج عن دراسته ضمن الفلسفة وإنما يعمل في مجال البلاغة والدلالة لقدرته على تكوين دلالة النصوص لدى المتلقي، فقد كان في البدء متداخلاً مع مفهوم الجدل إلى إن أصبح مستقلاً عنه بفضل أدوات تحليل الخطاب التي يتمتع بها عن طريق الآليات والأساليب الإقناعية التي تكون قادرة على إبعاد أي شك أو ريب أو إنكار عبر المنطق والعقل لكي يصل إلى غايته المنشودة في تقوية حجة الخطاب وبرهانه. ومن الأساليب والآليات الحجاجية الإقناعية الحجاج بوساطة الإيقاع ومنه أسلوب الجناس الذي يعطي الخطاب إيقاعاً رناناً جميلاً تطرب له النفوس وتنجذب إليه، و يحدث في النفس ميلاً شديداً نحو الخطاب لأجل زيادة التأثير والإقناع، فهو زيادة على الجمال والاتساق الذي يضيفه على النص فإن له طاقة حجاجية كبيرة عن طريق الإيقاع الذي يحدثه في النص لكي يصل إلى غايته المنشودة من الإقناع والتأثير، وبذلك يعد الجناس من الأساليب البديعية الحجاجية التي تعنى بالإقناع



فضلا عن أنها تجذب السامع وتؤثر في نفسه وتحدث فيها ميلا إلى الإصغاء لما يعرض عليها من أطروحات وأفكار ودفعها إلى القبول والتسليم.

وفي هذا البحث سندرس وتحليل الأنموذجات الحجاجية التي يؤديها أسلوب الجناس في خطب الجهاد عند الإمام علي (عليه السلام) ومدى تأثيرها في المتلقي عن طريق الإيقاع الذي يحدثه الجناس في مسار الخطاب وجذب ذهن المتلقي بسهولة ويسر، وقد تألف هذا البحث من مقدمة للبحث ثم خلاصة بحثية لحجاجية الجناس ثم تنظير الجناس الحجاجي وتحليله في خطب الجهاد على بعض الأنموذجات وفي نهاية البحث خاتمة بأهم النتائج المتوصل إليها وبعدها قائمة للمصادر والمراجع، ومن الله السداد والتوفيق.

الجناس الحجاجي:

يعد الجناس فناً من فنون البديع اللفظية، فقد وضح مفهومه الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٧٠هـ)، إذ يقول: «الجناس لكل ضرب من الناس والطير والعروض والنحو، فمنه ما تكون

الكلمة تجانس أخرى في تأليف حروفها ومعناها ويشتق منها مثل قول الشاعر: يوم خلجت على الخليج نفوسهم....»^(١) أما مفهومه عند عبدالله بن المعتز (٢٩٦هـ)، فقد عده في كتابه البديع ثاني أبواب البديع الخمسة عنده وعرفه ومثل للحسن والمعيب منه بأمثلة شتى، وهو يعرفه بقوله: «التجنيس أن تحيء الكلمة تجانس أخرى في بيت شعر وكلام، ومجانستها لها أن تشبهها في تأليف حروفها».^(٢)

وهكذا كان مفهوم الجناس عند الخليل بالأصالة وابن المعتز بالتبعية مفهوماً عاماً يشمل الكلمات المتجانسة سواء تجانست معنى أم اختلفت.

وعرفه أبو الهلال العسكري (٣٩٥هـ)، بقوله: «هو أن يورد المتكلم في الكلام القصير نحو البيت من الشعر والجزء من الرسالة أو الخطبة كلمتين تجانس كل واحدة منهما صاحبتهما في تأليف حروفها».^(٣)

أما السكاكي (٦٢٦هـ) فقد عرفه بقوله: «تشابه الكلمتين في اللفظ».^(٤)

وينقسم الجناس على قسمين



رئيسين هما^(٥):

الجناس التام: وشرطه أن تتفق حروف اللفظين في عددها وترتيبها ونوعها وضبطها، كقوله تعالى في كتابه العزيز: «ويوم تقوم الساعة، يُقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة»^(٦).

أما القسم الثاني فهو الجناس غير التام أو الجناس الناقص وهو الذي يفقد بعض ما يشترط في الجناس التام، كقوله تعالى: «وهم ينهون عنه وينأون عنه»^(٧).

الواقع أن الجناس من أكثر فنون البديع التي تصرف فيها العلماء من أرباب هذه الصناعة، فقد ألفوا فيه كتباً شتى وجعلوه أبواباً متعددة واختلفوا في ذلك، وأدخلوا بعض تلك الأبواب في بعض، ومن هؤلاء ابن المعتز، وقدامة بن جعفر الكاتب، والقاضي الجرجاني، والحامتي وغيرهم. وورد الجناس في مواضع متفرقة من خطب الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) وهو لا يقل شأناً عن غيره من فنون البديع، متأت من الطبع السليم والفطرة النقية التي تستجيب لمقتضى الحال، فالكلمات طوع إرادته تجري على لسانه منقاداً للمعنى الذي يريده في يسر

وسهولة، من غير قصد أو تكلف، فهو لا يتقصد لفظة للفظ أو معنى لمعنى، وإنما يتقصد فصاحة الكلام وجزالته، وبسط المعنى وإبرازه، وتلاحم الكلام بعضه ببعض، بما ينم عن ذوق رفيع وصحيح، وذهن ثاقب، وقريحة مطاوعة.

وفضلاً عن هذه الجمال والاتساق الذي يضيفه الجناس على الكلام، فقد تنبه العرب منذ القدم للوظيفة الحجاجية للجناس، إذ عده ابن حمزة العلوي من «الطف مجاري الكلام ومن محاسن مداخله»^(٨) وبذلك يعد الجناس من الأساليب البديعية التي تجذب السامع وتؤثر في نفسه وتحدث فيها ميلاً إلى الإصغاء لما يعرض عليها من أطروحات وأفكار ودفعها إلى القبول والتسليم.

إن الخطيب عندما يتكلم يحدث في مجرى الكلام إيقاعاً قوياً ورناناً تطرب له الأذان، وتهتز له النفوس بفضل تجاوب الموسيقى الناجم عن تماثل الكلمات، فإنه «يقصد اختلاب الأذهان، وخداع الأفكار، حيث يوهم أنه يعرض على السامع معنى مكرراً أو لفظاً مردداً لا يجني منه السامع غير التطويل والسامة،



أمير المؤمنين (عليه السلام) الجهادية هو في غالبه جناس ناقص حيث ابتعد عن أنواع الجناس الأخرى وخاصة التام منها؛ وذلك لمناسبة الألفاظ لمقتضى الحال، فلفهم المخاطب الجناس التام يحتاج إلى زمان طويل الإدراك والتمعن أما خطب الجهاد فهي خطب حماسية قصيرة الزمن ويلبيها الإيقاع اللغوي السريع.

وقد استعمل الإمام ألفاظاً متجانسة في كتابه إلى جرير^(١٢) بعد أن أبطأ عند معاوية فكتب له الإمام علي (عليه السلام): «أما بعد فإذا أتاك كتابي هذا فأحمل معاوية على الفصل، وخذه بالأمر الجزم، ثم خيره بين حرب مجلية، أو سلم محظية^(١٣)، فإن اختار الحرب فانبذ له، وإن اختار السلم فخذ بيعته»^(١٤) فوقع الجناس غير التام بين لفظتي (مجلية، محظية) بسبب تشابه اللفظ والاختلاف بحرفين مع اختلاف المعنى بينهما اختلافاً كلياً، فجاء ليوضح أثر الحرب و أثر السلم كذلك وترك الخيار في الأمر لمعاوية وكانت حجته على تأخر جرير عند معاوية ليذكره بأنه كان رسولاً له، فالجناس معدود من العوامل

فإذا هو يروع ويعجب، ويأتي بمعنى مستحدث يغير ما سبقه كل المغايرة، فتأخذ السامع الدهشة لتلك المفاجأة غير المتوقعة»^(٩) وذلك لأن السامع قد اكتشف معنى جديداً لم يكن في الحسبان، ووصل إلى حقيقة لم تكن متوقعة.

ولا شك أن كل كلام جديد ومفاجئ وطريف «يفاجئ النفس ويبين ما كانت تنتظره، تنزى له وتفتح وتستقبله بالبشر والفرح»^(١٠)؛ ولذلك فإن أي معنى جديد أو فكرة تطرح على النفس بشكل مفاجئ وبأسلوب سهل جميل ومتسلسل وفق إيقاع متسق يحمل النفس على قبولها وتصديقها. وفي هذا يقول أرسطو: «إن معظم النكت البلاغية التي نلم بها في الصورة وفي النقل، بلاغتها في المخاتلة التي يلجأ إليها الأديب، فإذا انتظرنا من الأديب معنى فخاتلنا عليه ليأتي بمعنى آخر مضاد له، تأثرنا به وتأثرنا بكلامه أكثر من غيره، وكأننا من أثر هذه الدهشة وتلك المخاتلة نقول: ما أحق ما يقول! وما أصدق! نحن الذين أخطأنا الفهم لا الأديب»^(١١) والجناس الذي ورد في خطب



المتتالية وصفا بارزاً بسبب استعمال تقنية الجناس لتتصل هذه التقنية بتقنيات أسلوبية متعددة جاءت لكشف المعنى وبيانه، فضلاً عن أن المعنى هو الذي يطلبها.

ولما أخبر الإمام علي (عليه السلام) بخطبة معاوية وعمرو، وتحريضهما الناس عليه أمر الناس، فجمعوا، فقال: كأني أنظر إلى علي متوكئاً على قومه، وقد جمع أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) عنده، فهم يلونه فقال: «اسمعوا مقالتي وعوا كلامي؛ فإن الخيلاء من التجبر، وإن النخوة من التكبر، وإن الشيطان عدو حاضر، يعدكم الباطل إلا إن المسلم أخو المسلم، فلا تنابدوا، ولا تحاذلوا، فإن شرائع الدين واحدة وسيلة قاصدة، من أخذ بها لحق، ومن تركها مرق، ومن فارقها محق، ليس المسلم بالخائن إذا أوّتمن، ولا بالمخلف إذا وعد، ولا بالكذاب إذا نطق، نحن أهل بيت الرحمة، وقولنا الصدق، ومن فعالنا القصد، ومنا خاتم النبيين»^(١٦).

إن افتتاح الخطبة بالجناس بين (اسمعوا، وعوا) طلب بتجاوب موسيقي

المؤثرة في إثارة نفس المتلقي وشد انتباهه للخطاب؛ لأنه يحدث إيقاعاً للألفاظ مما يكسب النص جمالاً وقدرة على التأثير، وهذا لا يكون ما لم يكن المعنى هو الذي استدعاه وساقه إليه.

وفي خطبة أخرى للإمام علي (عليه السلام) في التحريض على القتال قال: «عباد الله، اتقوا الله عز وجل، وغضوا الأبصار، واخفضوا الأصوات، وأقلوا الكلام، ووطنوا أنفسكم على المنازل والمجاولة، والمباراة والمعانقة والمكادمة، واثبتوا.....»^(١٥)

لقد كان تحريض الإمام علي (عليه السلام) في ثلاثة مواطن هي: (يوم الجمل ويوم النهروان ويوم صفين) فاستخدم الجناس المتمثل بين (المنازلة و المجاولة) وجميعها على وزن (المفاعلة) فكانت المنازل والمجاولة حجته في تحريض الناس لأكثر من معركة، فالمنازلة تعني القتال أما المجاولة فهي المعركة التي تكون على جولات متعددة وبأزمة مختلفة، فكان للجناس أثر في الحث والإقناع على الاستمرار، ولقد أوصل تلك الفكرة في التحفيز واستمرار القتال بوصف المعارك



وإقناعي صادر من تماثل الكلمات حيث يطلب الإمام (عليه السلام) من جمهور الناس أن يسمعوا كلامه ويفهموه أحسن فهم بكل تمنع وإدراك وهذا التقارب الصوتي يوحى بالتقارب الدلالي، وقد افتقدت اللفظة الثانية صوتي (السين والميم)، ولكن هذا النقص لا أجد له تأثيراً كبيراً مادام بين اللفظتين تشابه صوتي كبير، ويبدو أن سبب ذلك يرجع إلى الصوت الناقص في بداية الكلمة، فضلاً عن كونه من الأصوات الساكنة المهموسة، وقد عوض صوت العين الجهوري الذي يعد بين الشديد والرخو وصوت الواو التكراري النقص الحاصل في الجناس، وفي هذا المثال يكون المنبه التعبيري أقوى تأثيراً نتيجة للهزة الدلالية التي يتلقاها المتلقي بمخالفة التوقع.

وتابع خطبته معتمداً على جناس آخر وتماثل بين كلمتي (التجبر و التكبر) تماثلاً تطرب له الأذن ويلامس النفس، فيحفزهم على الثورة والدفاع في وجه معاوية وأتباعه، فبدأ الإمام (عليه السلام) بشرح حجته في ذلك القتال بجناس يؤدي إلى إقناعهم

بالجهاد، فكان الاختلاف بين اللفظتين المتجانستين في حرفي (الجيم والكاف) فالجيم حرف جهوري أما الكاف فجاء بصوت مهموس، ولكن التجانس بينهما كان بسبب تنالي حرف الباء الذي يحمل الصفة الانفجارية^(١٧)، وهذا ما يخدم المعنى المراد وينقل لنا صورة الموقف، كما تحلل خطبته نفسها جناس ناقص غير تام يسمى (جناس القلب)^(١٨)، مما يعطي الكلام إيقاعاً وتأثيراً في نفس السامع، وقد استخدمه بعد فاصل زمني إذ قال: «وقولنا الصدق، ومن فعالنا القصد» إن استخدام أمير المؤمنين (عليه السلام) جناس القلب في وسط خطبته المتجلي في لفظتي (الصدق، القصد) حجة أخرى على إثبات حقه وحق أنصاره بذكر صفاتهم، فهم لا ينطقون إلا الكلام الصادق، ولا تنم عنهم تصرفات وأعمال إلا عن أخلاق حميدة، وهذا ما يزيد من تحريضهم على قتال معاوية إذ أضفى أمير المؤمنين (عليه السلام) حجة تلو حجة حتى يصل إلى قلوب أتباعه وعقولهم فيناصروه بكل ما يملكون من قوة وبسالة، ومما يجدر ذكره أن التناوب في



مخارج الأصوات بين (القاف) و(الصاد) أوجد انتظاماً صوتياً مقدراً في إخراج النسق الصوتي الموسيقي المؤثر، فضلاً عن القيمة الدلالية فالصدق يحمل معنى قول الحقيقة، والقصد يشير إلى الإصرار والعزيمة، وفي ذلك يتم الانتقال بالعمل من الداخل إلى الخارج.

ويتابع الإمام علي (عليه السلام) خطابه؛ فيقول: «وقد علمتم أنني لم أخالف رسول الله (صلى الله عليه وآله) قط، ولم أعصه في أمر قط. أقيه بنفسه في المواطن التي ينكص فيها الأبطال، وترعد فيها الفرائص نجدة أكرمني الله بها؛ فله الحمد ولقد قبض رسول الله (صلى الله عليه وآله) وإن رأسه لفي حجري، ولقد وليت غسله بيدي وحدي تقلبه الملائكة المقربون معي».

ويكرر الإمام سلام الله عليه اعتماده للجناس في نهاية قوله: «ولقد وليت غسله بيدي وحدي» فكان الجناس بين لفظتي (بيدي، وحدي) مقبولاً عندما اقتضاه المعنى وتطلبه المضمون، وتقبلته العقول، وابتعد فيه المخاطب عن الزخرفة وجلب اللفظ أولاً، فكانت

اللفظتان المتجانستان حجة قوية لبيان منزلته المرموقة وقربه من الرسول الكريم حيث تولى (عليه السلام) غسل الرسول الكريم (عليه وعلى آله صلوات الله) وتكفين ذاك الجسد الطاهر بيديه النقيتين الطاهرتين من دون مساعدة أحد من البشر وإنما بعون من الملائكة، وفي هذه الحجة صورة واضحة على أن الإمام (عليه السلام) على حق بقتاله هو ومن والاه، فمن غير المنطقي أن من ينصبه الله تعالى لغسل جسد الرسول (صلى الله عليه وآله) يكون ظالماً وأكلاً لحقوق الآخرين ولا حتى طامعاً في استلام الحكم أو ساعياً وراء ملذات الحياة، وفي ذلك كان التجنيس ملائماً فإن اللفظتين تجانستا ولذلك كان التقارب الصوتي قد أوحى بالتقارب الدلالي «إلا إذا كان موقع معنيهما من العقل موقعاً حميداً، ولم يكن مرمى الجامع بينهما مرمى بعيداً»^(١٩).

ومما لاحظناه فإن وظيفة الجناس تتجلى في إحداث الأثر في السامع وجعله يتوقف عند هذا الاستعمال، حيث لا يمكن لهذا القارئ أن يهمل تلك العناصر من دون النظر في النص ومعانيه، وظلال



المعاني التي أسبغها الجناس .

ومن ذلك خطبة الإمام علي (عليه السلام) في أيام صفين يُذكر فيها المقاتلين بصفات النبي الكريم (صلى الله عليه وآله) وأخلاقه لكي يتحلوا بها، فوصفه، قائلاً: «أشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق، ارتضاه لذلك وكان أهله، واصطفاه على جميع العباد لتبليغ رسالته، وجعله رحمة منه على خلقه، فكان كعلمه رؤوفاً رحيماً، أكرم خلق الله حسبا، وأجمله منظراً، وأسخاه نفساً، وأبره بوالد، وأوصله لرحم، وأفضله علماً، وأثقله حلماً، وأوفاه بعهد، وآمنه على عقد، لم يتعلق عليه مسلم ولا كافر بمظلمة»^(٢٠)

وهنا أيضاً كرر اعتماده على الجناس (علماً، حلماً) ثم أردفه مباشرة بجناس آخر (عهد، عقد) فالاختلاف الحاصل بين (العين) و(الحاء) ثم بشكل متتابع اختلاف ثان بين (الهاء) و(القاف). فالعين والحاء معا مخرجهما وسط الحلق، وهما متشابهان في المخرج، «فاللفظ المشترك إذا حمل على معنى ثم جاء والمراد

به آخر لكان للنفس تشوقٌ إليه»^(٢١) أما مخرج الهاء فهو من أقصى الحلق ومخرج القاف من أقصى اللسان وهما متقاربان في المخرج، فخلق ذلك بنية موسيقية مؤثرة موزعة بتقنية عالية الأداء، فهو يعدد للسامعين مناقب الرسول (صلى الله عليه وآله) وما تحلى به، وفي ذكره (عليه السلام) هذه الصفات الحميدة حجة له على الناس في تحفيزهم على التحلي بتلك الأخلاق والمكارم النبيلة واتخاذها عليه الصلاة والسلام وعلى آله قدوة لهم وحثهم على نصره دين الحق دين الرسول (صلى الله عليه وآله) والمحافظة عليه، ومن جانب آخر فإن اعتماده على الجناس كان لتقبل الخطاب والاقتناع بمضمونه وليكسب النص الخطابي إيقاعاً موسيقياً ويثير انتباه السامعين ويشوق نفوسهم.

لم تؤت خطب الإمام علي (عليه السلام) وحججه في استمرار القتال وتحريض أصحابه أي نتيجة ولم يكن لها أي صدى في نفوسهم، فأقر بقرار حكيم منه بتوقف النزال إلا أنه قام فيهم محذراً: «إن هؤلاء القوم لم يفيئوا إلى الحق، ولا ليجيئوا إلى كلمة السواء حتى يرموا



إلى هذا الاكتشاف، فيبلغ مرتبة الإقناع الشيء الذي يجعله بعد ذلك يجد صعوبة في دحض ما توصل إليه بنفسه أو إبطاله، وهو ما يضمن وصول المتلقي إلى درجة من الإقناع والامتنان لرأي المتكلم عبر إيقاع الكلام.

ولما أتى الإمام علي (عليه السلام) الخبر - وهو بالمدينة - بأمر عائشة أنها قد جهزت جيشاً و توجهت نحو العراق لمقاتلة الإمام وكل من يواليه، فخرج الإمام علي (عليه السلام) يبادر، فلما انتهى بالربذة^(٢٣) قضى أياماً وأرسل إلى المدينة فلحقه ما أراد من دابة وسلاح، وقام في الناس فخطبهم، قائلاً: «إن الله عز وجل أعزنا بالإسلام، ورفعنا به، وجعلنا به إخواناً بعد ذلة وقلة، وتباغض وتباعد فجرى الناس على ذلك، الإسلام دينهم، والحق فيهم، والكتاب إمامهم، حتى أصيب هذا الرجل بأيدي هؤلاء القوم الذين نزغهم الشيطان لينزغ بين هذه الأمة»^(٢٤).

كان الجناس بين (ذلة، قلة) وبين (تباغض، تباعد) مظهراً من مظاهر الموسيقى الناجمة عن التلقي، والاختلاف

بالمناسر تتبعها العساكر، وحتى يرجعوا بالكتائب تقفوها الجلائب، وحتى يدعوا الخيل في نواحي أرضهم وبأنحاء مساربهم ومسارحهم^(٢٢).

فأخذ الإمام علي (عليه السلام) في كلمته يصف عدوهم الذي أقروا بالصلح معه مستخدماً الجناس الناقص (الكتائب، الجلائب) واختلفاً بعد استبداله (عليه السلام) حرف الكاف بالجيم فغير المعنى كلياً ثم ذكر (مساربهم، مسارحهم) والاختلاف بسيط بين حرفي الباء والحاء لكنه أدى إلى تنبه السامعين وأدى المعنى المراد، فكان من ترديد تلك الأصوات المتشابهة تقوية في رنين اللفظ على أسماعهم عليهم يعون مدى خطئهم في قرار الصلح.

إن هذه الانتقالات هي ما أعطى الجناس قوة حجاجية، وجعله قادراً على إصابة مواقع العقل والقلب معاً، فهو إذ يحدث في الكلام تشابهاً صوتياً واختلافاً دلالياً، فإنه يدفع بالمخاطب إلى القيام بالانتقالات الحجاجية للكشف عن حقيقة هذا الاختلاف وإدراك دلالاته وأبعاده، فيكون هو من توصل بنفسه



بين الحرفين (الذال والقاف) فكانت (ذلة) بمعنى الهوان أما (قلة) بمعنى العدد القليلة أو المكانة المنخفضة ثم (الغين والعين) فجعل واحدة بمعنى الكره والحقد والثانية بمعنى البعد، وهذا ما صنع الجناس في اللفظتين و لو سقط هذان الحرفان لاختفت الموسيقى التي تكونت لتؤدي أثراً بالغ الأهمية في إنتاج الدلالة التجانسية، وذلك باستحضار حاسة التوقع عنده، و «هو توقع يقتضي أن ينتج التماثل السطحي تماثلاً عميقاً، وهنا يخالف الناتج هذا التوقع، إذ يقود التماثل إلى التخالف، ولهذا تتكاثر المنبهات التعبيرية في الخطاب الإبداعي التي تؤكد شعرية الصياغة»^(٢٥)، التي تهدف في -الأعم الأغلب- إلى إحداث تأثير رمزي عن طريق الربط السببي بين المعنى والتعبير، حيث إن هذا التقارب الصوتي يوحى بالتقارب الدلالي فتجعل القتال أمراً مقبولاً لديهم، وهذه أمور لها وزنها في إثارة السامع والتأثير فيه وحضه على القتال وزيادة شجاعته في ساحة الوغى حيث كان الجناس توضيحاً راسخاً لما كان بين صفوف المسلمين قبل

الدعوة من حقد وكرهية لبعضهم. وعندما أراد الإمام علي (عليه السلام) السير إلى أهل الشام دخل عليه عبد الله بن المعتم العبيسي^(٢٦) وحنظلة بن الربيع التميمي^(٢٧)، في رجال كثر من غطفان وبني تميم يثبطوه عن ذلك المسير، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

«أما بعد فإن الله وارث العباد والبلاد، رب السماوات السبع والأرضين السبع، وإليه ترجعون، يؤتي الملك من يشاء، وينزع الملك ممن يشاء، ويعز من يشاء، ويذل من يشاء»^(٢٨).

إن استفتاح الإمام قوله بالجناس هو دليل على قوة الموقف والحجة الإيقاعية الشديدة التي تدل على أهمية ما سيقوله ولتنبه مخاطبيه، فللجناس دعامة قوية قادرة على تأكيد المعنى الذي يريد تثبيته في نفس السامع.

فكان الجناس في (العباد، البلاد) و هما موروثان من الله تعالى تشابها باللفظ واختلفا بحرف واحد فقد بدل العين بالباء، والمقصود بالموروثين الناس والأوطان، وفي ذلك نغم عذب على أوتار الزهد في الحياة الدنيا ولحن جميل يعبر عن



جمالا وزاد المعنى المراد من تقديم النصيحة والرأي استقراراً في النفس وتأثيراً فيها حيث كانت حجة الإمام في إبراز ديمقراطيته وأخذه بعين الاعتبار لآراء كبار القوم ووجهاء أعيانه، فقد تعاقبت الألفاظ على نحو منتظم ليشتد وقعها في النفوس ويتلاحق تأثيرها، ولا شك أن للجناس تأثيراً في انسجام النص وتماسكه مما يجعله يجري وفق سياق إيقاعي مختلف يفاجئ النفس ويبين ما تنتظره.

وفي خطبة أمير المؤمنين (عليه السلام) وبعد أن أغار النعمان بن بشير على عين التمر، قال:

«يا أهل الكوفة كلما سمعتم بمنسر^(٣١) من مناسر أهل الشام أظلمكم، انجحر^(٣٢) كل امرئ منكم في بيته، وأغلق بابه، انجحار الضب في جحره، والضبع في وجارها، المغرور من غررتموه، ولمن فاز بكم فاز بالسهم الأخبب، لا أحرار عند النداء، ولا إخوان ثقة عند النجاء»^(٣٣).

في هذه الخطبة هيأ الإمام (عليه السلام) جواً موسيقياً توبيخياً لشدة تقاعسهم وتثاقلهم عند الحاجة إليهم

إرادة الله تعالى وتحكمه بكل زمام الكون ليزيل مادب في نفوسهم من تردد وتحفظ على المسير.

وفي خطبة للإمام علي (عليه السلام) بعد أن خرج جارية فعسكر، وخرج أبو الأسود^(٢٩) فحشر الناس فاجتمع إلى جارية ألف وسبعمائة، ثم أقبل حتى وافاه الإمام علي بالنخيلة، فلم يزل بالنخيلة حتى وافاه هذان الجيشان من البصرة، فجمع إليه رؤوس أهل الكوفة ورؤوس الأسباع والقبائل ووجوه الناس، فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال:

«يا أهل الكوفة، أنتم إخواني وأنصاري وأعواني على الحق، وصحابتي على جهاد عدوي المحلين، بكم أضرب المدبر، وأرجو تمام طاعة المقبل، وقد بعثت إلى أهل البصرة فاستنفرتهم إليكم، فلم يأتني منهم إلا ثلاثة آلاف و مائتا رجل، فأعينوني بمناصحة جليلة خلية»^(٣٠) فالجناس الناقص بين (جليلة،

خليلة) جاء بلفظتين متعاقبتين متشابهتين بالإيقاع الصوتي لكنهما بمعنيين مختلفين متممين بعضهما لبعض، فأكسب الخطبة



هيات لا يمنع الضيم الذليل، ولا يدرك الحق إلا بالجد...»^(٣٦)

فإنه (عليه السلام) قد وصف كل من تقاعس عن الجهاد بألفاظ متجانسة (أعاليل، أضايل)، والباء في قوله: «بأضايل» متعلقة ب «أعاليل» نفسها، أي يتعللون بالأضايل التي لا جدوى منها^(٣٧)، ولا ريب أن مثل هذه التغييرات الصوتية التي تجري على اللفظتين المتجانستين، تظهر قوة بلاغة الخطاب، فتكون أحسن وقعاً في السمع وهم بالأساس متقاعسين عن سماعه وطلبه، وأكثر تأثيراً في النفس، فنرى كيف أسهم التجانس في الكلام إلى تقوية حجة الخطاب عن طريق التغير الصوتي بين الألفاظ ذات الإيقاع المتناغم الذي يطرق السمع ويجذب الانتباه مما يزيد من حجاجية الخطاب وتأثيره.

وصفوة الكلام أن الجناس صورة من صور الإيقاع المتناغم الذي يكسو النص الذي يرد فيه جمالاً ويزيده قوة في الرنين، ولا تعرف قيمته إلا إذا جاء منقاداً للمعنى، وفي ذلك يكون الجناس قد بلغ غايته في التأثير والإثارة والإقناع.

مولداً من هاتين اللفظتين المتجانستين (النداء، النجاء) ما يسهم في خلق أصداء وأنغام حماسية إضافية في نفوسهم الميتة المترددة عن الجهاد، فحجاجية الجناس هنا تعود إلى الدهشة والمفاجأة غير المتوقعة التي تحدث في النفس عند إدراكها للمعنى الجديد، ووقوفها على حقيقة الاختلاف الدلالي الخفي بين اللفظتين المتجانستين انطلاقاً من تشابههما الصوتي الظاهر، إذ إن إدراك الرأي واكتشافه هو ما يجعل المخاطب يقبل الكلام ويقبل عليه، لأنه يكون هو من توصل إليه بنفسه، وعرف حقيقته، ففي جناس هاتين اللفظتين شرارة توقد الثورة والنخوة في قلوبهم من جديد.

وفي خطبة الإمام علي (عليه السلام) بعد أن أغار الضحاك بن قيس على الحيرة وغنم أموال أهلها، وبلغه ذلك، فاستصرخ الناس، فتقاعدوا عنه، فقال ساخطاً منهم: «تقولون في المجالس كيت وكيت، فإذا جاء القتال قلتُم حيدي حياذ^(٣٤)، ما عزت دعوة من دعاكم، ولا استراح قلب من قاساكم، أعاليل بأضايل^(٣٥)، دفاع ذي الدين المطول،



يعرض عليها من أطروحات وأفكار
ودفعها إلى القبول والتسليم.

حجاجية الجناس تعود إلى
الدهشة والمفاجأة غير المتوقعة التي
تحدث في النفس عند إدراكها للمعنى
الجديد، ووقوفها على حقيقة الاختلاف
الدلالي الخفي بين اللفظتين المتجانستين
انطلاقاً من تشابههما الصوتي الظاهر.

إن الجناس عندما يرد في الخطاب
يحدث في مجرى الكلام إيقاعاً قوياً ورناناً
تطرب له الأذان، وتمتاز النفوس له بفضل
تجاوب الموسيقى الناجم عن تماثل
الكلمات، وبهذا تظهر قدرة الجناس على
التأثير والإقناع.

أن الجناس صورة من صور
الإيقاع المتناغم الذي يكسو النص الذي
يرد فيه جمالاً ويزيده قوة في الرنين، ولا
تعرف قيمته إلا إذا جاء منقاداً للمعنى،
وفي ذلك يكون الجناس قد بلغ غايته في
التأثير والإثارة والإقناع.

وفضلاً عن الجمال والاتساق
الذي يضيفه الجناس على الكلام، فإن
له قدرة حجاجية إقناعية كبيرة تجعل
الخطاب يسير باتجاه الإقناع والتأثير،
وبذلك يعد الجناس من الأساليب
البديعية التي تجذب السامع وتؤثر في
نفسه وتحدث فيها ميلاً إلى الإصغاء لما



الهوامش:

- ١٢- جرير بن عبد الله البجلي اليميني صحابي مشهور (ت ٥١هـ) شارك في عدة معارك منها القادسية وكان سفير الإمام علي (عليه السلام) لأخذ البيعة من معاوية.
- ١٣- محظية: مخزية، مجلية: حرب تخرجكم من دياركم أو سلم تخزيكم وتذلكم (لسان العرب، ج ١٤، ص ١٤٩).
- ١٤- وقعة صفين: ٥٥.
- ١٥- وقعة صفين: ٢٠٤.
- ١٦- وقعة صفين: ٢٢٣.
- ١٧- في الأصوات اللغوية، دراسة في أصوات المد العربية، د. غالب المطليبي، دار الحرية للطباعة والنشر، العراق - بغداد ١٩٨٢: ٧٧.
- ١٨- وهو اختلاف اللفظتين في ترتيب الحروف فقط بمعنى أن يتساوى اللفظان في نوع الحروف وعددها ويختلفا في ترتيبها (في البلاغة العربية علم البديع، دكتور أحمد المراغي: ١١٨).
- ١٩- أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني: ٧.
- ٢٠- وقعة صفين: ٣١٤.
- ٢١- فن الجناس، علي الجندي: ٢٩-٣٠.
- ٢٢- وقعة صفين: ٥٢١.
- ٢٣- الربذة: وهي منطقة في مكة ويقال إنها اسم لجبل (معجم البلدان، ياقوت الحموي، ج ٥، ١٩٧٩، ص: ٢٩٥).
- ٢٤- تاريخ الطبري، لابن جرير الطبري، ٥م، ١٨٥.

- ١- دراسات منهجية في علم البديع: ٢٠.
- ٢- كتاب البديع، أبو العباس عبد الله بن المعتز، تحقيق إغناطيوس كراتشوفسكي (ت ١٩٥١)، ط ٣، دار المسيرة للنشر - الكويت، ١٩٨٢: ١٩.
- ٣- الصناعتين، أبو الهلال العسكري، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط ١، ١٩٥٢، ٣٣.
- ٤- مفتاح العلوم، للسكاكي، شرح نعيم زرزور، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٩٨٣: ٤٢٩.
- ٥- في البلاغة العربية علم البديع، دكتور أحمد حسن المراغي، دار العلوم العربية، بيروت - لبنان، ط ١، ١٩٩١م: ١١٠.
- ٦- سورة الروم: ٥٥.
- ٧- الأنعام: بعض الآية ٢٦.
- ٨- كتاب الطراز، يحيى بن حمزة العلوي، ج ٢، ٣٥٥.
- ٩- البديع في ضوء أساليب القرآن، عبد الفتاح لاشين، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٩، ١٦٩: ١٧٠.
- ١٠- فن الجناس، علي الجندي، دار الفكر العربي، القاهرة: ٣٠.
- ١١- بلاغة أرسطو بين العرب واليونان، إبراهيم سلامة، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ط ٢، ١٩٥٢م: ١٧٠.



حجاجة الجناس في خطب الجهاد عند ...

- ٢٥- ينظر: البلاغة العربية قراءة أخرى، محمد عبد المطلب: ٢٧٣.
- ٢٦- عبد الله بن مالك بن المعتم العبيسي (ت ٣٧هـ) صحابي من المهاجرين الأولين، أول من أسلم من قبيلة عبس وقائد من أشرف غطفان (الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر، ج ٤، ١٩١).
- ٢٧- حنظلة بن الربيع التميمي الكاتب، وهو احد الصحابة الذين كتبوا لرسول الله (صلى الله عليه وآله) شهد القادسية ونزل الكوفة، وتخلف عن علي بن أبي طالب (عليه السلام) يوم الجمل في قتال أهل البصرة، وتوفي في حكم معاوية بن أبي سفيان.
- ٢٨- جمهرة خطب العرب، ج ١، ٣١٦.
- ٢٩- النعمان بن بشير بن سعد الأنصاري، كان منحرفا عن الإمام علي (عليه السلام) وعدوا له، وخاض المعارك مع معاوية وابنه يزيد حتى قتل على حاله (الإكمال في أسماء الرجال، الخطيب التبريزي، ص ٢٢٤).
- ٣٠- تاريخ الطبري، ابن جرير الطبري، م ٤، ٤٥.
- ٣١- المنسر: قطعة من الجيش ما بين ثلاثين فارسا إلى أربعين (لسان العرب، ج ١، ٦٩١).
- ٣٢- من انجحر الضب: أي دخل جحره (لسان العرب، ج ٥ / ٢٨٠).
- ٣٣- تاريخ الطبري، م ٦، ٧٧.
- ٣٤- حيدي حياذ: كلمة يقولها الهارب الفار، أي ابعدني عني أيتها الحرب (لسان العرب، ج ٣ / ١٥٩).
- ٣٥- أضاليل: جمع أضلولة بالضم وهي الضلال (لسان العرب، ج ١١ / ٣٩٤).
- ٣٦- نهج البلاغة، ج ١، ٣٩.
- ٣٧- شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد المعتزلي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، م ١، ج ٢: ١١٢.



المصادر والمراجع:

بن علي المرصفي، مطبعة المقتطف مصر، ١٩١٤م.

٩- شرح ابن أبي الحديد، عبد الحميد بن أبي الحديد، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء التراث العربي، القاهرة، ط١، ١٩٥٩م.

١٠- كتاب البديع، تأليف أبي العباس عبد الله ابن المعتز، تحقيق: إغناطيوس كراتشكوفسكي (ت١٩٥١)، ط٣، دار المسيرة للنشر، الكويت، ١٩٨٢م.

١١- كتاب الصناعتين، أبو الهلال العسكري، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط١، ١٩٥٢.

١٢- مفتاح العلوم، للسكاكي، شرح نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣.

١٣- البديع في ضوء أساليب القرآن، عبد الفتاح لاشين، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٩.

١٤- بلاغة أرسطو بين العرب واليونان، إبراهيم سلامة، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ط٢، ١٩٥٢م.

١٥- البلاغة العربية قراءة أخرى، محمد عبد المطلب، مكتبة لبنان ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونغمان، ط١، ١٩٩٧.

١٦- في الأصوات اللغوية، دراسة في أصوات المد العربية، د. غالب المطلبي، دار الحرية للطباعة والنشر، العراق - بغداد ١٩٨٢م.

١- أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١ أو ٤٧٤هـ)، تحقيق: محمود محمد شاكر، الناشر مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني، بجدة، ط١، ١٤١٢هـ.

٢- البلاغة العربية علم البديع، دكتور أحمد حسن المراغي، دار العلوم العربية، بيروت - لبنان، ط١، ١٩٩١م.

٣- تاريخ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (٢٢٤-٣١٠هـ)، تحقيق: إياد بن عبد اللطيف بن إبراهيم القيسي، دار ابن حزم.

٤- جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، أحمد زكي صفوت، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، د.ت.

٥- فن الجناس، علي الجندي، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٥٤.

٦- نهج البلاغة، للشريف الرضي، شرحه الشيخ محمد عبده، دار انتشارات لقاء، قم، إيران، ط١، ٢٠٠٤م.

٧- وقعة صفين، نصر بن مزاحم المنقري ت (٢١٢هـ)، تحقيق عبد السلام هارون، المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع، ط٢، ١٣٨٢م.

٨- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم دقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي ت (٧٤٩هـ)، تصحيح: سيد



